الفصل العشرون

العـرض

في صباح اليوم الثالث من الحادثة وقبيل بدأ المحاضرة، قدم طارق للكلية .

لم يكن أمر الدراسة يعنيه في شيء بقدر ما كان يعنيه تحدي الذات الذي فرضه على نفسه وعدم كسر عزة كبريائه، فما حدث كان سيقدم له عذراً جيداً ليُمنح إجازة لبضعة أيام ويتهرب من مقاعد الدرس كما يفعل دائماً، إلا أنه آثر الخروج من المستشفى والعودة للجامعة إرضاءً لغروره، ورغم أن الإصابات التي علت وجهه بدأت تخف قليلاً، ولم يتبقَ إلا العصابة التي ظلت ملفوفة بمحيط رأسه، إلا أنه بدا أفضل حالاً وهو يسير برفقته رفاقه الأربعة متجهين إلى مبنى الكلية بعد أن ركن سيارته.

وحين دخل القاعة، صفق كل زملائه في ترحيب وحماس، فهم يحبون فيه مرحه ومشاركته لهم في الأنشطة الرياضية، وأقبلوا يحيونه ويرحبون به ويصافحونه في سرور، سرَّ باستقبالهم الحار، ورحب بهم وهو يمنحهم ابتسامته المألوفة ويحدثهم بمرحه المعتاد، ثم صعد مع رفاقه درجات القاعة وصولاً إلى مقعدهم بالصف الأخير كما هي العادة، قال له محمود:

-كان واضحا عليك بأنك لن تستطيع أن تحضر يوم أمس، فالإصابات جعلت جسدك ثقيلاً.

بدأ الضيق يتسلل لوجه حين زفر وقال:

-كنتُ أريد الحضور حتى لا تشمت تلك المتعجرفة بعجزي.

ربت ناصر على كتفه، وقال مبتسماً:

-لا تشغل نفسك بذلك، المهم أنك بخير.

قال محمود وهو يبتسم ابتسامة مائلة ماكرة:

-لقد حضرت ضياء يوم الأمس، لكنك لم تعرف جديد ما حدث معها.

تطلع إليه في اهتمام وسأل:

-وماذا حدث؟

-كانت تبحث عن عمل.

رفع حاجباه في دهشه لقوله، بينما قال ناصر مؤيداً:

-هذا صحيح، كلنا يعرف بأن أخاها هو المسؤول الأول والأخير عن عائلتها، فكيف ستدبر أمر دراستها والمنزل من دونه؟

قال صبري ساخراً وهو يعدل نظارته:

-اعتقد بأنها لن تظل طويلا بالجامعة، وستترك مقاعد الدراسة إذا استمر وضعها على هذا النحو.

ابتسم طارق ابتسامة سرور وشماتة، وهو يقول:

-لم أكن أتوقع بأن الأمور ستجري على هذا النحو الرائع، فلترحل من هنا، أفضل لها ولنا.

كان يقول ذلك حين لمحها تدخل القاعة، ورآها تجلس بمقعدها في المدرج الثالث قريباً من ممر بين المقاعد وإلى جانبها سحر ورفيقاتها، كم يتمنى حدوث هذه اللحظة وينتظرها بفارغ

الصبر، وهي أن تختفي من القاعة ولا يجد لها أثراً أبداً ولا يرى وجهها الذميم بعد اليوم، ثم انتبه للدكتور سامي يدخل بعدها، لم يهتم له؛ بل انتبه لوليد الذي تمدد لحظتها، وتثاءب وهو يقول:

-ولن تجد أي عمل يا طارق، وحتى لو وجدت، أي مبلغ يمكن أن تتقاضاه وهي لم تحصل على شهادة جامعية؟! إلا إذا كانت تتقن حرفة نسوية تستلم منها ألف ريال في اليوم على أقل تقدير.

اتسعت ابتسامته الشامتة على تعقيب رفيقه، وأحس بالنشوة وبأن مراده سيتحقق عما قريب، ولم يخرجه من غمرة سعادته إلا صوت الدكتور سامي وهو يقول بصوته الأجش الحازم عبر مكبر الصوت:

-حمداً لله على السلامة يا طارق.

نظر إليه فوجده يشير إليه بيسراه ويقول ذلك، ابتسم ولوح بيده شاكراً له قوله، فهو لن يتمكن من سماع صوته إن تكلم دون مكبر الصوت أيضاً، ثم قال الدكتور بلهجة لم تخلُ من السخرية وهو يشير إلى مقعد شاغر:

-هلَّا تكرمت بالانتقال إلى ذلك المقعد من المدرج الرابع؟

انتبه إلى أنه يشير إلى مقعد خالٍ خلف المدرج الذي جلست فيه ضياء، فوجئ بطلبه لكنه أجابه، وبدا التساؤل على وجهه وهو ينهض، فقال مبدداً حيرته وهو يشير لبقية رفاقه:

-أنتم الخمسة يجب أن تتفرقوا حتى تستطيعوا فهم شيء مما أقول وتتركوا المقهى الذي لا ترتادونه إلا وقت المحاضرة، درجات واجباتكم منخفضة جداً، أتمنى أن أرى تحسناً بعد الإجازة الطارئة ، لذا تفرقوا.

علت الابتسامات الساخرة وجوه الطلاب وهم يراقبون طارق ورفاقه ينتقلون من أماكنهم والضيق على وجوههم، وأكثرهم انزعاجا كان وليد الذي سيحرم من قيلولته المعتادة، وتفرقوا على مقاعد قريبة بالصفوف الأمامية، قال طارق في نفسه ساخطاً وهو يجلس مكانه:

-يا لهذه الافتتاحية الصباحية، تباً لك أيها العجوز.

ثم تطلع الدكتور لوجوه الجميع آمراً بنظراته الصارمة بعودة الهدوء للقاعة، فهدأ الطلاب واتجهت أنظارهم إليه وبدوا متأهبين للدرس، فحمل القلم وبدأ يشرح ويستذكر معهم ما مضى من محاضرات.

بقي طارق ورفاقه على عادتهم رغم تفرقهم، صامتين متفرجين لا يشاركون في شيء تاركين المجال لبقية زملائهم، غير مكترثين بأهمية ما يقدم من علمٍ لهم، وكان أكثر ما يزعجه أنه مضطرٌ لسماع صوت ضياء وإجاباتها بكل وضوح وعن قربٍ أيضاً، يتأفف وينظر لمذكرته حتى لا يراها كلما نهضت من مقعدها لتجيب، كان يشعر بأن كل دقيقة من المحاضرة ثقيلة بطيئة تكاد تقتله بمللها، تمنى لو أنه لم يأتِ؛ لكن التحدي لإثبات الذات أولى من كل شيء.

وبعد مضي ساعة ونصف، فوجئ الجميع بباب القاعة يُصفع أمامهم بقوة، وتطلعت عيونهم مباشرة للشخص الذي أقبل بهذه الطريقة مستغربين تصرفه، بينما اتسعت عيناه في دهشة وذهول وهو يقول:

-رُ... رُبا!!

قال ذلك في نفسه ، كيف وصلت أخته إلى هنا؟! ظل حائراً وهو يراقبها تتطلع للقاعة الكبيرة وتتأمل كل شبر فيها بانبهار شديد؛ مقاعدها الكثيرة ومدرجها وسقفها العالي بأضوائها الساطعة، وبمرح طفلة، قالت في إعجاب:

-يا سلاااام، إنه صف كبير وجميل جداً، ألا يمكنني أن أدرس في مكانٍ كهذا؟

تحدثت بطلاقة ودون حرج أو ارتباك من الطلاب أو الدكتور الواقف مكانه قرب السبورة والذي بدا شيء من الضيق على وجهه، بينما ارتبك طارق في خلده من تصرفاتها وتمنى أن تنصرف، ففوجئ بها تبحث عنه بنظراتها حتى عثرت عليه، اعتلت وجهها الصغير ابتسامة وقالت :

-وجدتك أخيراً يا طارق، لِم لا تريد أن تصحبني حتى يوم واحد لمدرستك؟

أشار لها بالانصراف؛ لكنها هرولت متجهة إلى مكانه في شغف وهي تقول:

-أريد أن أرى السبورة من مكانك.

منذ دخولها، والابتسامات مرتسمة على وجوه الطلاب، بين السخرية والإعجاب بجرأتها الغريبة، نادراً ما يتصرف الأطفال مثلها، ولعلهم سروا بإضفاء جو المرح قليلاً في محاضرة

علمية تسودها الجدية، تطلعوا إليها في اهتمام منتظرين بفضول ما ستؤول إليه هذه الزيارة العفوية.

صعدت درجات المدرج بسرعة بخطواتها الصغيرة، ومن شدة حماستها تعثرت بأحدها وكادت تسقط، لولا أن الجالس قريباً من الممر أمسك بها من ذراعها ومنعها من أن تؤذي نفسها، اضطربت لحظة تعثرها ولما هدأت نظرت لمنقذها، لتجدها ضياء، ظلت لمدة تحدق في وجهها قبل أن تعتدل وتقول:

-أنتِ المزدوجة، صحيح؟!

ذهلت لقولها وكذلك رفاقها ورفيقاتها الذين حولها، بينما صُعق طارق وضرب جبهته بيده وقد ازداد ارتباكاً، قالت ضياء:

-اسمي ضياء ولست المزدوجة، لِم تقولين هذا عني؟

أجابتها بسرعة:

-لأن طارق يقول ذلك عنكِ، عرفتك من هذه الإصابة التي على وجهك، لا أدري لِم كان يذكرك دائماً حين...

-رُبا يكفي.

صاح بها وهو نهض من مقعده وقد احمر وجهه خجلاً وغضبا معاً من أقوالها مقاطعاً إياها

هو لا يهتم لأمرها كإعجاب؛ بل كان يكرهها ولهذا كان يذكرها كلما تحدث إلى رفاقه أو تذكر ذلك اليوم الذي أهانته فيه، خشي أن تذهب ظنون من حوله بعيداً عن الواقع، أما ضياء فقد أدركت نيته الحقيقية.

تجاهلت ما قالته وتركتها بعد أن اعتدلت، بينما قالت رُبا له وهي تبتسم و تقول في سخرية:

-لِم انفعلت هكذا؟ لم أقل إلا الحقيقة.

هنا ضحك كل من في القاعة، وكذلك ضياء التي قالت في نفسها:

-لم تقل إلا الحقيقة، فلِم لا تتقبلها؟

مع موجة الضحك عبس وجه الدكتور سامي وحدجه بنظرات غاضبة، ثم دخلت عائشة القاعة ورأت رُبا وما أحدثته بالقاعة من فوضى، ارتبكت وقالت للدكتور:

-أعتذر سيدي، لم أقصد الفوضى التي سببتها ابنتي، أعتذر للإزعاج.

ثم التفتت إلى ابنتها وأشارت لها بالنزول، إلا أنها تمنعت وهربت نحو المقاعد البعيدة، أسرع طارق يمسك بها من يدها ويجرها جراً خارجاً بها، والابتسامات تعلو وجوه زملائه، همس أحدهم لزميله حائراً:

-طارق يذكر ضياء؟! غريب منه هذا.

تساءل الآخر مثله وهو يهز رأسه:

-أتظنه يحبها؟

هز زميله رأسه نافياً:

-لا أظن ذلك، إنه دائما يشعر بالنفر والضيق منها وحتى من وجودها.

-وأنا أعتقد بأنه يكرهها بعد ما صفعته.

قال آخر مبتسما في سخرية:

-مزدوجة!! أظنه اسم مناسب لها.

دارت موجة همهمة قصيرة من بعض الطلاب والطالبات، استطاعت أن تلتقط بعضها، تقلصت ملامح وجهها في ضيق وألم، وكتمت ما بها وهي تمسك قلمها بشدة محاولة الصمود، لتجد يد سحر تمسك بيدها أيضاً محاولة مساندتها، نظرت لها مبتسمة، وقالت بهمس:

-لا تقلقي علي، لقد سمعت أسوأ من هذا منذ قدومي، فليحيكوا أثواباً بظنونهم.

بادلتها الابتسامة وهي تدرك حجم ألم تلك الكلمات بقلبها، ورغم ذلك ظل التجاهل وبقوة سلاحها لما قد يقف عقبة في طريق أحلامها ومستقبلها، وبقدر ما كانت تتألم لأجلها إلا أنها سعدت بصمودها حتى تستطيع المضي في درب الحياة.

ثم عاد الدكتور سامي ينظر لطلابه بنظراته حادة على إثرها توقفت موجة الأحاديث وساد الهدوء بالقاعة، ويعود لاستئناف المحاضرة.

زفر طارق في ضيق وهو يخرج رُبا خارج القاعة وتتبعهما عائشة، وحين أوصلها إلى الممر، كان خالياَ من الطلاب إذن أن الجميع كلٌ في قاعته ولا يزال منشغل بمحاضراته، عقد حاجبيه وقال ساخطاً:

-أمي، لِم جئتِ إلى هنا؟ ولِم أحضرتِ هذه المشاغبة معكِ؟ لقد سببت لي إحراجاً أمام زملائي.

هزت عائشة يديها وقالت:

-لقد أحضرني والدك إلى هنا، كنا في طريقنا لزيارة بعض أقربائنا في مدينة الغيل، ولما مررنا قرب كليتك طلبت منه أن يسمح لها برؤيتها، وأيدتُ طلبها أيضاً قلت له لا بأس، رفض في البداية لكنه في النهاية وافق، كانت نيتي أيضاً أن أراك وأطمئن عليك، لم أتوقع أنها ستثير كل هذا الشغب، أنا آسفة بني.

قال ساخطاً وهو ينظر إلى رُبا التي بدت غير مبالية بشيء وهي تتأمل ما حولها في فضول:

-هي لم تحرجني وحسب؛ بل جعلتني سخرية الجميع، ياهذا اليوم المزعج.

-آسفة يا بني، والحمد لله أنك بخير، سننصرف الآن، عد إلى محاضرتك وانتبه لنفسك.

-سأفعل.

ثم أمسكت بيدها في إحكام، وهي تقول:

-في كل مكان تثيرين المتاعب، لا مَدرسة قبلت بدخولك إليها، ولا حتى معلمة لبضع ساعات قبلت بتدريسك، لِم أنتِ متعبة هكذا؟

-لم أفعل شيئاً، كل ما في الأمر أني أريد اللعب.

-أنت لا تلعبين وحسب؛ بل ثرثارة لا تجيد شيئاً إلا الحديث، ستكملين السادسة ولم تتعلمي أي شيء حتى الآن، الروضة التي التحقتِ بها كانت جميلة، لِم لم تعجبك؟

قالت متجاهلة كلامها وهي تنظر إليها:

-أمي، لنذهب إلى الحديقة.

زفرت في ضيق وهي تقول:

-لا حول و لا قوة إلا بالله، متى ستفهمين كلامي؟ لن نذهب إلى أي مكان، أنت لا تخافين إلا من والدك، ليته يرافقك في كل مكان ويقدر جهودي معك، وسعيي لتعليمك وتغيير سلوكك.

-سأخبر أبي أن يأخذني للحديقة الموجودة بالغيل.

صاحت بها:

-بل سنذهب لغايتنا لنعود مبكراً، يكفي ما فعلته حتى الآن.

ظلت رُبا تصيح متوسلة، بينما أخذت عائشة تسحبها بقوة وهما خارجتان من المبنى، وتنهد طارق بعمق وهو يتأملهما، ويقول حائراً وقد هدأ غضبه:

-فتاة مشاكسة، متى استطاعت سماع كل حديثي عن ضياء؟

ثم فتح باب القاعة ودخل، فاستقبلته النظرات المشوبة بالسخرية، ردها على الفور بنظرات غاضبة متجاهلاً كل الأفكار التي قد تحملها عنه، وسار بخطى هادئة حازمة نحو مقعده وجلس غير مرتبك، وحين نظر لضياء وجدها تدون ما هو مكتوب على السبورة، متجاهلة بدورها كل تلك النظرات حولها منسجمة مع الدرس وشرح الدكتور، هكذا عرفها منذ أول يوم لها؛ قوية، صلبة الإرادة، منطلقة نحو هدفها بثبات؛ لكنه لم يعرف سر ذلك بعد.

التقط قلمه وتظاهر بأنه يدون في مذكرته وهو يبتسم لنفسه ساخراً ويقول في نفسه:

-قريبا سترحل ونرتاح منها، سنرى إلى ...

قطع حبل تفكيره فجأة حين تبادرت إلى ذهنه فكرة بددت كل الضيق والغضب عن نفسه مما حدث، كما تبدد الريح غيوم السماء، فاتسعت ابتسامة السرور على وجهه وانتظر بشوق انتهاء المحاضرة بعد ثلث ساعة.

مرت الدقائق ثقيلة أيضاً، لتقبل بعدها فترة الاستراحة، وبدأ معظم الطلاب يغادرون القاعة، بينما اجتمع برفاقه في مقاعدهم بعد أن تفرقوا، ابتسم ناصر مداعباً:

-لقد كشفت أختك كل ما تفعله.

عقد حاجبيه غاضباً وصاح به:

-ناصر!!

هز يديه مهدئاً وقال:

-لا تقلق، أنا أعرف ما تفكر فيه، لستُ أظن بك شيئاً آخر.

فابتسم له ابتسامته المألوفة وهو يميل برأسه ويقول:

-لكنك لم تحزر هذه المرة مالذي سأفعله؟، راقب أنت والبقية ما سيحدث.

تفاجأوا بقوله ورأوه يبتعد عنهم ويقترب من مكان ضياء التي كانت تستعد لمغادرة القاعة برفقة سحر وهما تتحدثان عن المحاضرة التي يتوجب عليهما مراجعتها في مكتبة الكلية، فسألها قائلاً:

-ضياء، هل حقاً تبحثين عن عمل؟

عقدت حاجبيها في حدة، وقالت بحزم:

-أعتقد بأن هذا الأمر لا يخصك، فاهتم بشؤونك.

ابتسم وقال:

-ولكن لدي عرض عمل مناسب لك، وبراتب مجزٍ أيضاً، ولا شك في أنه سيناسبك بكل تأكيد.

انتبهت له وأبعدت الحدة عن ملامحها، كانت مندهشة من كلماته، بينما قالت سحر بغضب وهي تشير بيدها:

-ابتعد عنا، إنها في غنى عن مساعدتك.

-ما هو؟

صدمت لقولها الحازم، لم تتوقع أن تبدي اهتماماً بقوله، فقالت لها وهي تشد ذراعها:

-ما بك يا ضياء؟ أي عمل قد يأتي من شخص لا يحترم أحداً ويسميك بألفاظ لا تليق؟

نظرت لها وقالت مطمئنة إياها:

-لا تقلقي عزيزتي، لن أخسر شيئا إن استمعت إليه، فأنا في النهاية من سيقرر مناسبة العمل أم لا.

اتسعت ابتسامة التحدي على وجهه وقال:

-هكذا أنتِ دائماً، حسناً، هل رأيت أختي الصغيرة رُبا؟

هزت رأسها

-نعم، ما بها؟

-هل في إمكانكِ تعليمها مقابل استلامك لراتب معلم شهرياً؟

تملكها الذهول لعرضه حتى أنها كادت تفتح فاها في دهشة لعرضه، فتمالكت نفسها العرض مغري جداً ومناسب لحالها كثيراً، فهي ستستطيع التوفيق بينه وبين دراستها، وفي نفس الوقت ستساعد أهلها في الوقت ذاته، تطلعت لوجهه للحظات، هل يريد مساعدتها حقاً؟! نظراته نحوها لا تزال كما عرفتها من أول لقاء، وسلوكه وهو ذاته، إذاً ما سر عرضه؟ ازادت الحيرة بفكرها، بينما بدت الحماسة على وجهه وهو يرى اهتمامها بحديثه فاستأنف قائلاً:

-أختي تعاني من مشكلات الدراسة ومعضلاتها منذ سن الرابعة حين بدأنا بإدخالها إلى الحضانة ثم الروضة، كثيرة الحركة حتى في أثناء الدرس وأحيانا كثيرة كانت تهرب من قاعة الدرس، لم تستطع أن تتعلم شيئا بشكل جيد، أحضرت لها أمي معلمات من كل مكان بالمدينة؛ لكن لم ينفع معها شيء، فضولية ثرثارة لكنها ذكية، وإلى الآن لم نجد حلا لمشكلتها.

وضعت يدها أسفل ذقنها وهي تقول:

-ذكية ويصدر منها كل هذا؟ غريبٌ أمرها.

عاد يبتسم مسروراً لردة فعلها وقال:

-فكري بعرضي هذا، إن شعرت بأنك قادرة على تعليمها، أبلغيني قبل نهاية الدوام.

ولم ينتظر رداً بل أشار لرفاقه وغادروا القاعة خمستهم، قال ناصر في ابتسامة:

-أظنني فهمت ما ترمي إليه.

قال محمود في ابتسامة مماثلة:

-وإن قبلت، هل ستنجح في هذه المهمة؟ لا أظن ذلك، الأمر في حاجة لمعلمة مختصة وذات صبر كبير.

بادلها الابتسامة وقال وهو يهز رأسه:

-سنرى ماذا ستقرر، وأتمنى أن توافق، لتنال درساً لن تنساه طوال حياتها.

ومضوا خمستهم نحو مقصف الكلية، أما ضياء فقد دوى عرضه في فكرها، غادرت القاعة برفقة سحر التي لاحظت بأنها ستغرق في بحر الصمت لتفكر فيما سمعت بهدوء، فتركتها تستعيد ما قاله لها وتوازن كل أمورها بفكرها لتتخذ خلال الساعات القليلة قراراً بين كفتيه مستقبلها وسعيها لمساعدة أهلها معاً، لم يفارق الأمر فكرها خلال الاستراحة، وسبب لها شروداً في المحاضرة النظرية التالية، ثم المحاضرة العملية بالمختبر، كانت تسترق النظر إليه

محاولة الوصول لأغوار فكره؛ لكنها لم تر إلا عدم مبالاته بالدروس وملامح الاستهزاء والسخرية من كل شيء لا يعجبه، بدت حائرة لا تدري ما هي نيته الحقيقة وراء ذلك.

وعند الظهيرة، انقضت ساعات الدوام زاحفة نحو النهاية، فبدأ الطلاب والطالبات يغادرون مبنى الكلية، ومن بينهم طارق ورفاقه الذين غادروا المختبر سريعاً، وحين كانوا بالممر نادت عليه ضياء، ابتسم لرفاقه وقال:

-يبدو من أنها ستوافق، اسبقوني إلى السيارة ريثما أعود.

بادلوه الابتسامة، بينما محمود:

-إذن، سننتظر ما سيحدث بشوق.

وابتعدوا رفاقه، بينما اقترب منها وقال بحزم:

-نعم ضياء.

ظلت سحر واقفة ترقبهما من بعيد دون أن تتمكن من سماع حديثهما، في حين قالت ضياء بحزم:

-موافقة على عرضك.

فابتسم لها ابتسامة سرور، وقال:

-رائع، مسرور لذلك.

بدا الارتباك عليها قليلاً وهي تقول محاولة تمالك نفسها:

-لكن... لدي شرط آمل أن تحترمه.

شعر بالضيق في أعماقه، وهو يقول في نفسه:

-عرض مغرٍ وشروط عليه، ما هذا؟

لكنه سألها وهو يرفع حاجبيه متظاهراً بالحيرة:

-شرط!! وما هو؟

-أن تأتي أختك إلى منزلنا لأعلمها.

فقال وهو يهز رأسه:

-أوه، هذا فقط؟ لا بأس، لا مانع أبداً في ذلك، سأتفق مع والدتي لتحدد الوقت وتحضرها لمنزلك وسأخبرك بتفاصيل ذلك غداً.

شعرت بفرحة لا توصف لقبوله شرطها، فوضعت يدها على صدرها وهي تتنفس بعمق في ارتياح كبير، أخيراً ستتمكن من مساعدة شادي ولو مرة واحدة ورد كل جميل وكل تضحيته قدمها لأجلها، أخيراً ستتمكن من مساندته بشكل كبير، مر ببالها كل ما قدمه لها.

لاحظ طارق سعادتها فابتسم في ظفر، لقد استطاع تحقيق الخطوة الأولى من خطته، ثم انتبه لها وهي تقول له في حزم:

-هناك شيء في هذه الحياة يجب أن تدركه يا طارق، وهو أن قيمتها تزداد عندما نستشعر بأن هناك أناس يضحون من أجلنا، عندها ...

امتعض وجهه وقاطعها وهو يقول:

-تتفلسفين؟ ما الذي تحاولين الرمي إليه؟

أسبلت جفنيها قليلاً، وصمتت للحظات حين رد بقية كلماتها، ثم ابتسمت له وقالت في امتنان:

-لا شيء، أشكر لك عرضك وقبولك لشرطي.

بدا الارتباك على وجهه للحظات وهو يتأمل ملامح وجهها وابتسامتها، كلماتها كانت دافئة نابعة من أعماق قلبها، وابتسامتها الصغيرة رغم ذمامة وجهها كانت طفولية، بدت له إنسانة رقيقة لطيفة، فمست كلماتها قلبه، وأربكته، رد عليها متلعثماً:

-العفو..وانصرفت عنه، بينما ظل واجماً يحدق في الفراغ، لا يدري ماذا أصابه، جسده يتقد حرارة، وقلبه يخفق بقوة، لم يعرف سبباً لذلك؛ هل هي ابتسامتها التي كانت ذات جمال فريد، أم كلمات شكرها التي شعر بأن قلبها قد نطق بها؟

مضى في طريقه مجدداً ليلحق برفاقه وهو يهز رأسه بقوة محاولاً بعثرة كل اضطراب نفسه، ويقول في سخرية:

-هه، حمقاء، تظن بأني أقدم لها عرضاً لأساعدها، بالعكس، سترى ما لا ترضى من رُبا، وسنرى إلى أين ستصل في دراستها، ستندم على قبولها لعرضي.

في حين أقبلت على سحر وعانقتها وهي تقول في سعادة:

-الحمد لله، لقد وافق على شرطي، كنت خائفة من أنه لن يوافق.

أرسلتها وهي تقول بحدة:

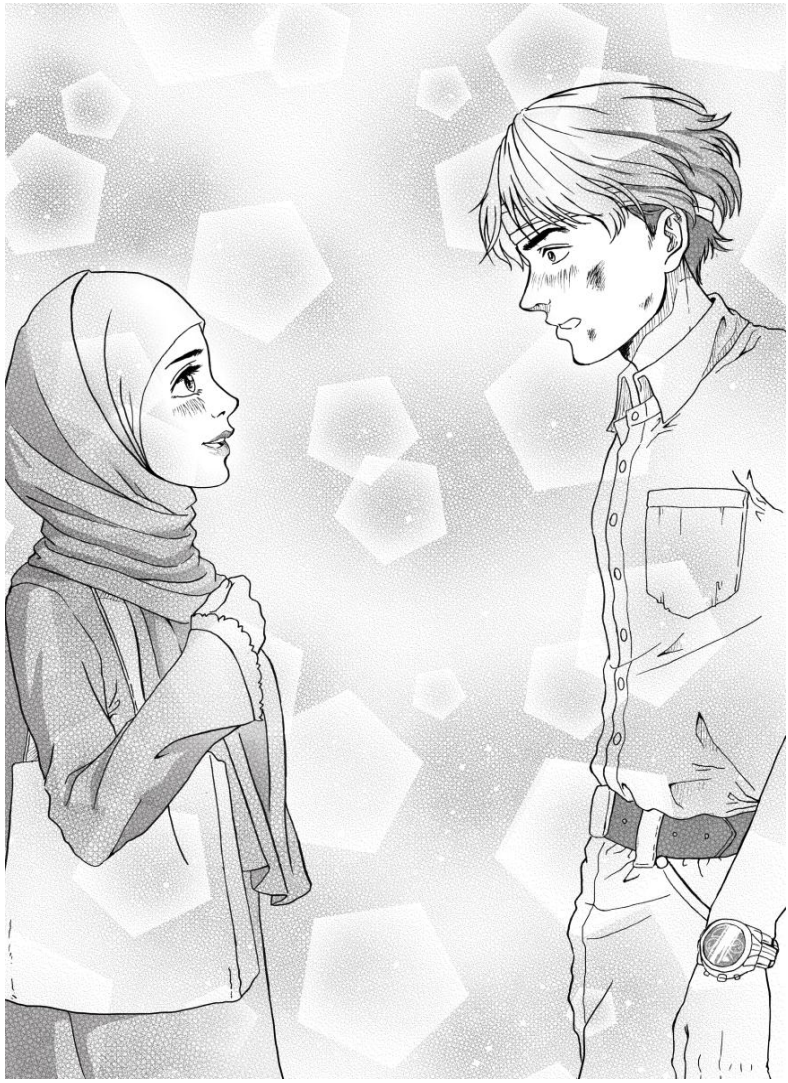

-هل تريدين مني أن أهنئك على هذا يا ضياء؟ أنتِ تعلمين أن طارقاً لم يضمر لكِ الخير يوماً، ما كان عليك قبول عرضه مهما كان، تراجعي.

نكست رأسها، وقالت بحزن:

-لا أستطيع، يجب أن أساعد شادي، وللأسف لا أجيد حرفة إلا الخياطة، وهي الأخرى تدنى مستواي فيها منذ زمن، من ستقبل بي لأعمل معها؟

ردت عليها في قلق:

-أنا فقط لا آمن جانب طارق.

نظرت لها وقالت:

-ولا أنا؛ لكن طالما أني لن أغادر منزلي فلا شيء يدعو للقلق، أريد مساعدة أخي وأسأل الله أن يوفقني.

-وهل تظنينه سيوافق على قبولك لعرض طارق؟

-سأخبره بكل شيء، فلست من تخفي عنه أي شيء.

*****